دورعلماء توات في التواصل مع جنوب الصحراء:

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي الجزائري ويضم ثلاث مناطق: تينجوارين ومنطقة توات الوسطى وعاصمتها رقان، وتيدكليت "عين صالح". اختلف المؤرخون في معنى "توات" قال مؤرخ السودان عبد الرحمن السعدي انه اسم مرض أصاب أصحاب ملك السودان منسا موسى حين مرورهم بالمنطقة عند عودتهم من الحج. مما اضطر الكثير منهم البقاء هناك. وقيل أنه اسم قبيلة صحراوية، وقيل اسم فاكهة الأتوات كانوا يدفعونها اهل المنطقة للموحدين. وقيل اسم بربري معناه الواحات.

منطقة توات هي قديمة استعملها الرومان للعبور إلى بلاد السودان، كما ضمها المنصور السعدي إلى بلاده في القرن السادس عشر، سكانها من جنسيات مختلفة واكتسبت أهمية عندما تراجع الطريق التجاري الغربي الذي يمر عبر مراكش، وفي الوقت الذي ازدهرت فيه غاو عاصمة سنغاي.

ازدهرت توات تجاريا وعلميا في القرن السابع عشر والثامن عشر، بتراجع الطرق التجارية الغربية الساحلية التي انتقلت الى الداخل، بسبب الاستعمار الاسباني والبرتغالي للسواحل، وانتشار قطاع الطرق واللأمن، فأصبحت طريق توات من أهم الطرق التجارية. وقد كانت القوافل التجارية محملة بالكتب، وراجت تجارة الكتب لأنها تدر أرباحا طائلة، وقد لعب العلماء دورا في هذه التجارة، لأنهم كانوا يمارسون التجارة فعرفوا بالفقهاء التجار. فكان العلماء يمارسون التجارة لعدة أسباب منها هروبهم من الاشتغال بمهنة القضاء او التدريس، وبعض مارس التجارة لتأمين حاجيات مدارسهم وزواياهم التي أنشأوها مثل الشيخ سيدي علي بن حنيني (ت1115هـ/1703م) صاحب الزاوية المشهورة بزاقلوا، كان يملك قافلة وصل تعدادها إلى 900 جمل تتجار مع بلاد السودان. فبالإضافة إلى مهنة التجارة كانوا ينشرون العلم أثناء إقامتهم ببلاد السودان.

تنقل كثير من علماء توات إلى بلاد السودان لأخذ العلم من المراكز الحضارية وأشهرها تنمبكتو، أرون، شنقيط، ولاته، لما عرفت به هذه المدن من رخاء اقتصادي ومكانة علمية، وكان لهذا التنقل أثره في الازدهار العلمي لتوات من أمثلة العلماء في ولاته الطالب سيدي أحمد التواتي بن محمد بن عمر (ت1722م) يقول عنه البرتلي أنه كان احد العلماء العارفين مداوما

على الأوراد مشتغلا بالتصوف له خزانة مليئة بالكتب. ومن العلماء الذين ذكرهم البرتلي أنهم انتقلوا على بلاد السودان الشيخ علي بن أحمد الرقادي (ت1780) قال عنه أنه من الصلحين ون أهل العلم صاحب نفع وبركة كثير التنقل بين زاوية أجداده ببلاد توات وبلاد السودان. ولقد تأثر به عدد كبير من التكروررين.

لقد لعب الكنتيون (نسبة إلى قبيلة كنتة التي تنسب إلى الفاتح عقبة بن نافع وستمدت اسمها من اسم سيدي محمد الكنتي وأصبحوا يعرفون بآل كنته. الجذور الأولى لهذه القبيلة بتوات ثم توزعت بكل إفريقيا) دورا بارزا في توات وهم من العائلات النشطة في المنطقة، حيث شيدوا الكثير من الزوايا منها زاوية كنتة وقصر أقبلي وهم يملكون خزائن المخطوطات الميئة بآلاف الكتب. وكان لهم دور في انتشار القادرية وفرعها البكائية نسبة إلى أحمد البكاي الكنتي.

ساهم التواتيون في السودان الغربي في بناء المساجد والمراكز العلمية ففي عام 1737 بنى التواتيون مسجدا في تمبكتو عرف باسمهم، وكان للكنتيين مدارس وزوايا ثل زاوية أبناء المصطفى وزاوية لمخاتير بأزواد مالي. ونظرا لكثرة وجود التواتيين ببلاد السودان كانت لهم مقبرة خاصة بهم.

كما كان طلبة السودان يقصدون توات لطلب العلم فكانت زوايا تنيلان وكنتة وتمنطيط تعج بهم منهم: الشيخ عبد الله الفلاني الذي قدممن بلاد التكرور ودرس على يد عبد الرحمن عمر التواتي التنلاني وكتب عن رحلته في توات. ولشدة تعلق بعض السودانيين بتوات أصبحوا يلقبون أنفسهم بالتواتي مثل الحاج أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي الملقب بالتواتي. كان من كبار العلماء الصالحين حج عدة مرات وكان شيخ ركب الحج من السودان إلى توات ثم يخلفه أبو نعامة من توات إلى الحج. وعرف بكرمه وزده وهمته، ومن كتبه "كشف الغمة في نفع الأمة" (ت1744م).